محاضرة رقم / 11

أوغسطين (أوغسطينيوس) (345-430م)

مدينة الله ومدينة الدنيا:-

هو أوراليوس أغوسطينيوس؛ ولد في طاجستا, من أب وثني وأم مسيحيّة.تعلم اللاتينّة وكان مولعاً بما. لم يكن ملا إلى اليونانيّة, ولم يكن مؤمناً؛ واصل دراسته على نصيحة أبيه؛ وارتحل إلى قرطاجة وتعلم فيها مجموعة من الآداب والفنون والبيان والبلاغة. شُغف بالحكمة وتعلمها, وبفضلها اطلع على الكتاب المقدس؛ فخاب أمله في الحكمة؛ ولم يفهم الكتاب. انتمى إلى المجموعة المانوية بسبب انشغاله بمسألة الشر, ورأيه بأنه ليمكن أنّ يُسّلم بالإيمان المفروض. توفي والده في عام أوغسطين الثلاثين. وبعد فترة؛ ألمت به نكبة قادته للوحدة والسكون؛ وفيما هو جالس تحت شجرة في بستانه, حسب ما يقول؛ وإذا بصوت يأتيه يقول له: خُذ واقرأ. فعجب للأمر! فوقع بصره على رسائل بولس الرسول وقرأ فيها: "لا تمضوا حياتكم في الولائم وملذات المائدة ولاقي الفسق والفجور...بل البسوا سيدكم يسوع المسيح. وحاذروا من تلبية شهوات الجسد الفاسدة." وحينها قرر أن يعتكف؛ في بيت صديق له؛ مع تلاميذه وأصدقائه وأمه للصلاة والنقاش والدراسة. وحينها حلت نعمة الإيمان» كما يقول, عليه. وبعد أن وقفَ نفسه لخدمة الله كما يرى واستقال من عمله كخطيب؛ كَتَبَ "في النفس الخالدة" في ميلانو» وبعدها ارتحل إلى أفريقيا لكن وفاة أمه أعادته إلى ايطاليا.

وفي روما كتب"في عظمة النفس"؛ وعاد بعد فترة لطاجستا وأنجز هنالك كتابه"الرد على المانويين" و"في الدين الحق". وَأسَّسَ رهبانيته في هيبونيس "هيبون" وهي مدينة "عنابة حالياً في الجزائر" ووضع دستوراً لها. وفي عام 401 نشر كتاب: "الاعترافات". ومن ثم كتابه: "في الثالوث". بعد إن طالت هجمات القوطين , كتب أوغسطين: "مدينة الله". وقي عام 430 وعلى إثر حصار مدينته. ألم بأوغسطين المرض وتوفي.

ويعد أوغسطين واحداً من الذين أسهموا بقسط كبير في تقدير أفلاطون وفلسفته في الأوساط المسيحيّة؛ واستطاع الإطلاع على مؤلفات أفلوطين؛ كما يعد أوغسطين أول كاتب يعالج موضوعات الدولة والمجتمع المدن في ظل المقول الدينيّ. وبالرغم من وراثته للفكر الأفلاطوني والمنجز الذي قدمه شيشرون, إلاّ أن أعاد إنتاج هذه الأفكار ليلائمها مع إيمانه الدينيّ المسيحيّ. وبدت جل أعمال وكتابات أوغسطين دبي هي الأخرى ولم يدع أنه فيلسوف. في كلامه؛ بل لاهوتياً يحاول الدفاع عن عقيدته.

• السيفان أو مدينة الله والدنيا:-

كان الكتاب الأبرز لأوغسطين هو "مدينة الله " , وهو كتاب عظيم الأثر لأنه بسط تاريخاً كاملاً للمسيحيّة من حيث الماضي والحاضر والمستقبل. ويمكن إن نعزو الثنائية الذي تضمنها الكتاب بين مدينة الله ومدينة الدنيا إلى جذور مانوية كانت ترى العالم مكوناً من لي الخبر والشر. وكان كتابه يهدف إلى الدفاع عن المسيحيّين قبال التهمة الموجهة لهم من الدولة الرومائثية بأنّهم لبوا الكارثة عليها.!*"!" ويمكن أن نفهم الصراع المتخيل في هذا الكتاب وكأنّه إقرار بوجود سيفين الأول لسلطة الكنيسة؛ والثاني لسلطة الحاكم الزمني السّياسي.

والفكرة الأساسيّة الي تتحكم بكتاب "مدينة الله" هي الموازنة بين ما أطلق عليها "مدينة الدنيا" و"مدينة الله"؛ وينطلق أوغسطين في التأسيس لذلك عبر مافي طبيعة الإنسان من ميل ومحبة. وهذه المحبة تنقسم لديه على قسمين: محبة الذات ومحبة الله؛ أو ولائين: الأول للمدينة الي ولد فيها والثانية الى الله. ولهذا نشات مدينتان ترجع إليهما سائر المجتمعات البشريّة؛ المدينة الأرضيّة والمدينة السماويّة أو مدينة الله؛ الأولى تدفع بجتمعها الأرضي نحو التسلط والتملك بالدوافع والحوافز الدنيا.؛ وبذلك فهي مدينة شريرة ناقصة. وهي تمثل الشيطان حينما شق عصا

الطاعة على ربه. وتجسيدها في حكم الآشوريين والرومان الوثنيين. والثانية تتقرر أن مجتمعها هو الذي يلتمس السلام والخلاص الروحي؛ وهي خيّرة كاملة. والصراع بين هاتين المدينتين هو القصة المثيرة التي ستنتهي في آخر الأزمان, وتحسم لجانب الله لأنّ السلام غير ممكناً إلا فيها. ولا يمكن أن تدوم أي مملكة إلا مملكة الروح. أما المدينة الأخرى فهي في الأصل: مدينة زوال, بحكم ما فيها من عناصر الانحلال والقلق, ولأنّها تجسد الطبيعة الإنسانيّة في جانبها العدوانِ والجشعي الراغب بالاستعلاء والتكبر 0

لم يرد أوغسطين القول بأن مدينة الارض أو السماء تنطبقان على واقع مُعيّن بذاته. وإن جاءت محاكية لصورة من صور الانحلال مع الامبراطوريات الوثنيّة؛ كما في مدينة الأرض الي صورها مع الوثنية الرومانيّة وغيرها. كما أنَهُ لم يكن يقصد أن الكنيسة هي مملكة أو مدينة الله الى عناها, وما كان يعتقد أن خلاص البشر وتحقيق الحياة السماويّة يعتمد على واقعيّة الكنيسة؛ بوصفها اتحادا يضم جميع المؤمنين» وقدرتها على أن تلعب دورها في تاريخ البشريّة بوحي كلمة الله ورعايته؛ ولهذا السبب عَدَّ أوغسطين ظهور الكنيسة المسيحيّة نقطة تحول في التاريخ, لأنِّها مرحلة الصراع بين قوى الخير وقوى الشر, ومنذ هذه المرحلة أصبح خلاص الإنسان

مرتبطاً بمصالح الكنيسة التي هي في مرتبة أعلى من اية مصالح أخرى ولذلك يجب مرحلياً التمسك بها.